اتهام علماء الغرب الإسلامي بالزندقة
(ابن خميس التلمساني(ت٧٠٨هـ/١٣٠٩م) أنموذجاً)

الدكتورة

ريحاب محمود إبراهيم محمد

المدرس بالمعهد العالي للدراسات السياحية والفندقية بدمياط الجديدة

المستخلص:

تناول هذا البحث محاكمة ابن خميس لفكره ومعتقداته ، وتوجيه تهمة اعتناق أفكار تستوجب الحكم بإعدامه وجاء بعنوان" اتهام علماء الغرب الإسلامي بالزندقة (ابن خميس التلمساني(ت٧٠٨هـ/١٣٠٩م) أنموذجاً).واستوجبت دراسة الموضوع تقسيمه إلى أربعة عناصر رئيسة ، الأول منها بعنوان ابن خميس التلمساني ،وسوف تتناول فيه الباحثة ما يتعلق بابن خميس من المولد حتى الوفاة والعنصر الثاني من عناصر البحث بعنوان" أسباب اتهامه بالزندقة " ويتناول أهم أسباب اتهام ابن خميس بالزندقة ، وما ورد في كتاباته واستخدام الألفاظ ذات الصلة بالفلسفة ، ونقد هذه الأسباب . والعنصر الثالث بعنوان محاكمة ابن خميس ، تلك المحاكمة التي عقدت في مدينة فاس ، فمن المعلوم وسير المحاكمة ، ودفاع ابن خميس ، ثم إدانته في النهاية ، ثم فراره ليلاً . والعنصر الرابع جاء بعنوان ابن خميس في الميزان ، ويتناول رأي المؤرخين في ابن خميس وفكره ، وشهادتهم له بالعلم وكذلك شهادتهم في زهده وتصوفه ، وكذلك دلالات هذه الشهادات .

الكلمات المفتاحية: اتهام ،علماء الغرب الإسلامي، بالزندقة.

Abstract

This research deals with the trial of Ibn Khamis for his thought and beliefs, and the accusation of adopting ideas that would require a death sentence. It was titled “Accusing Western Islamic scholars of heresy (Ibn Khamis al-Tilmisani (d. ٧٠٨ AH/١٣٠٩ AD) as an example).The study of the subject necessitated dividing it into four main elements, the first of which is entitled Ibn Khamis al-Tilmisani, in which the

researcher will address what is related to Ibn Khamis from birth to death, and the second element of the research is entitled “Reasons for accusing him of heresy” and deals with the most important reasons for accusing Ibn Khamis of heresy, and what was stated in His writings and use of words related to philosophy, and criticism of these reasons. The third element is entitled The Trial of Ibn Khamis, that trial that was held in the city of Fez. It is known about the course of the trial, the defense of Ibn Khamis, then his conviction in the end, and then his escape at night. The fourth element is titled Ibn Khamis fi Al-Mizan, and deals with the opinion of historians about Ibn Khamis and his thought, their testimony to him of knowledge, as well as their testimony to his asceticism and Sufism, as well as the implications of these testimonies.

مقدمة :

بعد انقضاء عمر الدولة الموحدية ، كانت قد ورث ملكها في بلاد المغرب الإسلامي ثلاث دول ، الدولة الحفصية في المغرب الأدنى وقاعدتها تونس ،والدولة الزيانية في المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان ، والدولة المرينية في المغرب الأقصى وقاعدتها فاس . وحاولت كل دولة أن تترك بصمتها وبخاصة فيما يتعلق بالجانب الحضاري.

وقد ورثت الدول الثلاث عن الدولة الموحدية الاهتمام بالعلم والعلماء، وتشجيعهم على الإنتاج العلمي ، فأضحت حواضرهم الثلاث منارات علمية ،زاع صيتها في ربوع العالم الإسلامي وقصدها العلماء وطلاب العلم .

وكانت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية قد شهدت طفرة حضارية في عهد بني زيان ، ظهرت في الاهتمام بالعلم والعلماء ، وإقامة المؤسسات التعليمية ، وقرَّب الحكام العلماء منهم ، فعجت بهم قصورهم ومساجدهم ، وتبادلت العلوم والمعارف مع المدن المغربية الأخرى ، علاوة علي موجة الهجرة الأندلسية التي لعبت دوراً كبيراً في النهضة العلمية في المغرب الإسلامي.

ووسط هذه الأجواء العلمية ولد عالم من علماء تلمسان النوابغ ،هو العالم أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني ، الذي تشكل فكره وسط زخم علمي شهد به القاصي والداني ، وباتساع مداركه اتسعت علومه ، فاهتم بدراسة علوم الأوائل ، والمقصود علم الفلسفة ، الذى كان اهتمامه به وحبه له سبباً في تعرضه للظلم على يد خصومه ممن أخذ منه موقف من العلماء المغاربة ، فتعرض لهجوم لاذع لهذا السبب ، وطُلب لمحاكمته في فاس بتهمة الزندقة ، ومثل أمام هيئة المحكمة مدافعاً عن فكره ومعتقداته ، يدحض كل افتراء بالحجة ، مع تربص خصومه ضده ، باذلين كل جهد لإدانته .

وتتلخص إشكالية البحث في محاكمة ابن خميس لفكره ومعتقداته ، باتهامه بالذندقة ، وذلك بالإجابة علي عدد من التساؤلات منها : من هو ابن خميس التلمساني وكيف كانت نشأته والعلوم التي تلقاها منذ الصغر وما اهم المناصب التي تولاها ؟ كذلك يجيب البحث عن تساؤل مهم ما حيثيات اتهام ابن خميس بالذندقة ؟ وهل كانت واقعية في أغلبها أو حتى بعضها؟ وكذلك كيف كانت المحاكمة ومن هم القضاة ؟ وأخيراً ما رأي العلماء في ابن خميس؟

واستوجبت دراسة الموضوع تقسيمه إلى أربعة عناصر رئيسة ، الأول منها بعنوان ابن خميس التلمساني ،وسوف تتناول فيه الباحثة ما يتعلق بابن خميس من المولد حتى الوفاة ، ويبدأ بنشأته في تلمسان ، ثم التدرج في المناصب حتى تولى الكتابة في ديوان الإنشاء لسلاطين بنى زيان ، ثم هجرته إلى المغرب الأقصى والإقامة فيه ، ثم عودته إلي تلمسان فاراً من محاكمته ، ثم رحيله أخيراً إلي غرناطة عاصمة بنى الأحمر حتى وفاته .

والعنصر الثانى من عناصر البحث بعنوان" أسباب اتهامه بالزندقة " ويتناول أهم أسباب اتهام ابن خميس بالزندقة ، وما ورد في كتاباته وإن لم يكن صريحاً ولكنه يشير بصورة أو بأخري لاعتناقه المذهب الفلسفي ، واستخدام الألفاظ ذات الصلة بالفلسفة ، ونقد هذه الأسباب . والعنصر الثالث بعنوان محاكمة ابن خميس ، تلك المحاكمة التي عقدت في مدينة فاس ، فمن المعلوم وسير المحاكمة ، ودفاع ابن خميس ، ثم إدانته في النهاية ، ثم فراره ليلاً . والعنصر الرابع جاء بعنوان ابن خميس في الميزان ، ويتناول رأي المؤرخين في ابن خميس وفكره ، وشهادتهم له بالعلم وكذلك شهادتهم في زهده وتصوفه ، وكذلك دلالات هذه الشهادات .

وينتهي البحث بخاتمة تضم أهم ما توصلت إليه من نتائج لهذه الدراسة ، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الباحثة. .

أولاً : ابن خميس التلمساني :

العالم التلمساني أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن خميس الرُعيني التلمساني ، وهو من العرب اليمنية، حيث ينتهي نسبه إلي حجر ذي رعين الحميري من اليمن ،وهو عربي خالص من العرب القحطانية ، الذين سكنوا اليمن [١]، ويفتخر ابن خميس بنسبه في قوله:

وإن أنتسب فإني من دوحة تتقيل الأقيال برد ظلالها

من حمير من ذي رعين من ذرى حجر من العظماء من أقيالها

وإذا رجعت لطينتي معنى فما سلسالهم بأرق من صلصالها [٢]

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ج٢، ص ٥٢٩؛ المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفي السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م، ، ج٢، ص ٣٠١ ؛ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ،دار الفكر العربي، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م، ج٥، ص ٣٦٢؛ عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م، ص ١٣٥؛طاهر توات : ابن خميس شعره ونثره ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ١٩٩١م، ص ٤٢-٤٤؛

Nizar F. Hermes: Ibn Khamis and the Poetics of Nostalgia in the Tilimsāniyyāt in (The Routledge Handbook Of Arabic Poetry), New York, ٢٠٢٣, p.١٥٣-١٥٥.

(٢) العبدرى : الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، دار بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص ٣٢؛ ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، تحقيق محمد علال سيناصر، الدار البيضاء ، المغرب ،٢٠١٥م ، ص٢٢؛ ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص ٥٥٦؛ طاهر توات : ابن خميس شعره ونثره، ص ٤١ ؛

Nizar F. Hermes: Ibn Khamis,p.١٥٥. ؛

ولد في تلمسان* عام ٦٥٠هـ /١٢٥٣م، وبها تربى ونشأ وتعلم علومه الأولى علي يد علماء تلمسان المشهورين والمعروفين في تلك الفترة ، وتأثرت الحياة العلمية في تلك الفترة كثيراً باهتمام الحكام الزيانيين بالعلم والعماء .[١]وتولي القضاء في تلمسان وكان من المقربين من حكام تلمسان بني زيان ، وتولي كتابة الإنشاء للسلطان الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن (٦٨١-٧٠٣هـ/ ١٢٨٣-١٣٠٤م) * بل وصفه النباهي أنه كان "... أثيراً لدي سلطانه ، قلده مع قضائه كتابة سره، وأنزله من خواصه فوق منزلة وزرائه ، فصار يشاوره في

* تِلمِسْان : مدينة قديمة ، وعاصمة الدولة الزيانية فى المغرب الأوسط ، قريبة من مدينة وهران ، وبينهما مرحلتان، ، وهي مدينة تجارية يقصدها الكثير من التجار وتعتبر طريقهم إلى سجلماسة. انظر الحميرى: الروض المعطار ، ص ص١٣٥ –١٣٦.

(١) العبدري: الرحلة المغربية،، ٣٠؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أحمد أبو الفضل، دار الفكر ، بيروت، ١٩٧٩م، ج١، ص ٢٠١؛ المقري: أزهار الرياض، ج٢، ص ٣٠١–٣٠٢؛ طاهر توات : ابن خميس شعره ونثره، ص ٤٣–٤٤؛ المهدي البوعبدلي: الأعمال الكاملة للشيخ المهدى البوعبدلي ، عالم المعروفة ، الجزائر ، ٢٠١٣م، ج١، ص ٢٨–٣٠.

* السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان ثاني سلاطين دولتهم .ولد في عام ٦٣٩هـ /١٢٤١م ، تولى بعد وفاة والده يغمراسن بن زيان في عام ٦٨١هـ /١٣٨٣م ، بدأ باخضاع البلاد الخارجة عن نطاق دولته، فاستولى على مازونة وانتزعها من مغراوة سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م .، ثم على ونشريس ومدينة تنس والمدية سنة ٦٨٨هـ/.١٢٨٩م ، وعلى بلاد أخرى فيما بعد حتى انتظم له ملك المغرب الأوسط كله له . توفي في عام ٧٠٣هـ/١٣٠٤م. انظر : ابن خلدون : بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد – تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٨١م ، ج١، ص ٢٠٨–٢٠٩؛عبد الرحمن بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحاتة ، بيروت، ٢٠٠٠م ، ج٧، ص ١٨٤–١٩٠.

تدبير الملك ، فقلما كان يجري شيئاً من أمور السلطنة إلا عن مشورته وبعد استطلاع نظره..[١]

وعن هجرته من تلمسان إلي المغرب الأقصي فكان بسبب الحصار الطويل الذي فرضه السلطان المريني أبو يعقوب يوسف(٦٨٥هـ-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م) * حول تلمسان ، عام ٦٩٨هـ /١٣٩٨م بعد أن هاجمها قبل ذلك أربع مرات لكنه لميتمكن من فرض الحصار عليها بشكل تام كما فعل في هذه المرة ، وفي هذه المرة تم إحكام الحصار حول تلمسان وبها السلطان أبو سعيد عثمان ، وساءت فيها أحوال البلاد والعباد ، وتحولت تلمسان خراباً ، ومكاناً ضيقاً لقاطنيها فرحل عنها بعضهم ، وعبر ابن خميس عن هذه الأحوال بعد رحيله عنها بقوله:

لعشرة أعوام عليها تجرمت إذا مضى قيظ بها جاء إهراء

---

(١) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ١٣٤.

* السلطان المرينى أبو يعقوب يوسف بن أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق المرينى، ولد عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٣م ، بويع بعد وفاة والده السلطان أبو يوسف يعقوب فى عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م، هاجم المغرب الأوسط عدة مرات أولها سنة ٦٨٩هـ /١٢٩٠م واستطاع أبو سعيد عثمان التصدي له ، ثم هاجم تلمسان عدة مرات في سنة ٦٩٥هـ /١٢٩٥م و ٦٩٦ هـ /١٢٩٦م و ٦٩٧ /١٢٩٧م، وكان هجوم في شكل غارات فشل فيها دخول تلمسان ثم تمكن من محاصرة تلمسان وبها السلطان أبو سعيد عثمان ،وذلك في عام ٦٩٨هـ /١٢٩٨م وطال الحصار واشتد الكرب ببني عبد الواد ونال منهم الجهد والعناء، "وهلك الناس بالجوع والسيف والمنجنيقات" فتوفي أبو سعيد وهو محاصر ، وذلك لخمس سنين من الحصار، وتوفى السلطان المريني أبو يعقوب يوسف مقتولاً فى مدينة تلمسان عام ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م. انظر: ابن خلدون : العبر ، ج٧، ص ٩٥-١٠٠؛ يحي بن خلدون : بغية الرواد، ج١، ص ١١٧؛ ابن الأحمر: روضة النسرين فى دولة بنى مرين- تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٦٩م، ص٢١؛ النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تحقيق عدنان محمد آل طعمة،دار سعد الدين، دمشق، ١٩٩٢م ، ص٣٦.

يطنب فيها عائثون وخرب ويرحل عنها قاطنون وأحياء[١]

وكان ابن خميس كما سبق ذكره مقرباً من السلطان الزياني فنصحه بالدخول في طاعة بني مرين تجنباً للانتقام منهم لكنهم رفضوا ذلك فهجاهم بعد رحيله أيضاً بقوله :

دعيتم إلي ما يرتجى من صلاحكم فلادكم عنه التعجرف والجمح

تعاليتم عجباً فطم عليكم عباب في رأس عليانة جلخ [٢]

وكانت دعوة ابن خميس هذه للأسرة الزيانية بالدخول في طاعة السلطان المريني يوسف بن عبد الحق ، سبباً الخوف منهم ، ذلك أن هذه الدعوة شككت بني زيان في إخلاص ابن خميس لهم ، بل ظنوا أنه من أتباع بني مرين ، ويرغب في أن تتسييد دولتهم تلمسان ، وأن دعوته هذه ما هي إلا دعوة لملكهم ، فأمروا بقتله خلسة ، وبالفعل طلبوا من خصومه التخلص منه ، إلا أنه انكشف أمرهم لابن خميس ، فقرر النجاة بنفسه والفرار إلي المغرب الأقصى[٣] ، وعبر عن ذلك ابن الخطيب بقوله "... ثم فر عنهم وقد أوجس منهم خيفة ، لبعض ما يجري بأبواب الملوك..." [٤] علاوة علي أن ابن خميس كان من طبعه أنه محب للترحال والسفر والتنقل وقد اتضح ذلك في قول ابن

---

(١) عبد الوهاب بن منصور : المنتخب النفيس من شعر ابن خميس ، مطبعة ابن خلدون ، تلمسان، ١٩٦٥م ، ص ٦٣-٦٤؛

Nizar F. Hermes: Ibn Khamis,p.١٥٦.

(٢) المقري: أزهار الرياض ، ج٢، ص ٣٢٥.

(٣) عبد الوهاب بن منصور: المنتخب من شعر أبي عبد الله ابن خميس ، ، ص ٢٧؛

Abdesselam Meziane, Ibn Khamīs, poète tlemcenien du xiiie siècle dans Deuxième congrès de la Fédération des sociétés savantes de l'Afrique du Nord à Tlemcen ١٤-١٧ avril ١٩٣٦, Alger ١٩٣٦,T. II, ١٠٥٦-١٠٥٨.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص ٥٢٩.

الخطيب عنه أنه "... بعيداً عن الريا والهوادة ، عاملاً علي السياحة والعزلة ..."[١] .

وبالفعل وصل إلي المغرب الأقصى ونزل بسبتة *ومدح رؤساءها من بني العزفي، الذين كانوا قد تفردوا بحكم سبتة ، ونواحيها عام ٦٤٧هـ /١٢٤٩م . كما مدح سبتة ذاتها وأشاد بمائها وهوائها وجمال أبحرها وجبالها.[٢]

ويمكن القول أن رحلة ابن خميس إلي المغرب الأقصى وانتقاله إليه من تلمسان رغم حبه للترحال، كانت رحلة استقرار ، أي أن سبب الرحيل كان الخوف من البطش والتنكيل آفة ذلك العصر ، لذلك كانت الظروف هي التي حكمت عليه بذلك. [٣]

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص٥٢٨- ٥٢٩.

* سَبْتَة : مدينة مغربية تقع فى شمال بلاد المغرب الإسلامى بينها وبين فاس عشرة أيام ويقابها على الشاطىء الأندلسى مدينة الجزيرة الخضراء ، وفى العصر الإسلامى كان ميناء سبتة من أجود المراسى . انظر : البغدادي : مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت، ١٩٥٤م، ، ج٢ ، ص٦٨٨

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص ٥٢٩؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان ،د.ت، ج١، ص ٢٠١؛ المقري: أزهار الرياض، ج٢، ص ٣٠١-٣٠٢؛ عبد الوهب بن منصور: المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله ابن خميس، ص ٢٥-٢٦؛

Nizar F. Hermes: Ibn Khamis,p.١٥٦-١٥٧.

(٣) زينب بن زيادي: دور علماء تلمسان الزيانية بفاس خلال القرنين (٨-٩هـ/١٤-١٥م) ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة غرداية، ٢٠١٥م ، ص ٦٤؛

Bénali El Hassar, Algérie L'épopée musicale andalouse "sana'a-gharnata", ٢٠١٦,P.١٣٩.

واختار ابن خميس العيش بسبتة ، للتدريس فيها فالتف طلبتها حوله لاختباره في عدة مسائل ، فألقوا عليه مسائل من غوامض الاشتغال ، فرد عليهم :أنتم عندي كرجل واحد ، ويعنى أن المسائل أخذها الطلبة عن شيخهم ابن الربيع.(١)

وقد تعرض ابن خميس لمحاكمة بعد اتهامه بالذندقة علي نحو سيتضح في الصفحات التالية ،وكانت منعقدة له في مدينة فاس عاصمة دولة بني مرين، ولما أيقن أنه يُراد الإيقاع به فر ليلاً إلي تلمسان مرة أخري.(٢)

واختار ابن خميس حياة الزهد والتقشف والعزلة بتلمسان بعد فراره من فاس ، إلى أن واتته الظروف فغادرها تحت جنح الظلام إلى غرناطة.(٣) في عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م وعندما قدم غرناطة عمل بالخطابة والتدريس بها فقد أحسن الوزير ابن الحكيم * استقباله ، وعامله معاملة جيدة، وساعده في

---

(١) المقري : أزهار الرياض ، ج٢، ص ٢٩٨؛ صالح محقن: إسهامات علماء المغرب الأوسط في مجال الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف ، الجزائر، ٢٠٢٢م، ص ٧٦؛

Nizar F. Hermes: Ibn Khamis,p.١٥٦.

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ص ٥٦١؛ زليخة شعبان صاري : تلمسان في شعر ابن خميس ، مجلة الفضاء المغربي، كلية الآداب واللغات ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، ع٤، ٢٠٠٧، ص ٨٨.

(٣) المهدي البوعبدلي : أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني (٦٥٠-٧٠٨هـ/١٢٥٣-١٣٠٩م) ، مجلة الأصالة ، ع ٤٩-٥٠، ١٩٧٧م ، ص ١٠؛

Meziane , Abdesselam . “ Ibn Khamīs,p.١٠٥٧.

* الوزير ابن الحكيم : أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن فتوح بن أيوب اللخمي ، من علماء رندة المشهورين ، لقب بذي الوزارتين ، قدم إلي غرناطة حاضرة بني الأحمر في عهد السلطان محمد الثاني الفقيه ، فتولي الكتابة له ، ثفي عهد محمد الثالث تولي الوزارة والكتابة

العمل في التدريس ، حيث جمع العلم وحب الشعر والأدب بين ابن خميس وابن الحكيم ، فأجلسه للإقراء جواره، لتعليم وإقراء اللغة العربية معه .[١]

وعلى الرغم من تركه تلمسان إلي غرناطة لم ينس ابن خميس تلمسان عللى الرغم من حياة البذخ والترف التي كان يعيشها في غرناطة فكان كلما ذكرها بكى ، وظهر ذلك في الكثير من قصائده .[٢]

وبعد فترة قضاها في غرناطة حن ابن خميس لهوايته في التنقل والترحال مرة أخرى ، وهذه المرة كان قد تعلق ابن الحكيم به صديقاً وفياً وعالماً جليلاً ، فحزن ابن الحكيم لرغبة ابن خميس علي الفراق ، وحاول أن يثنيه عن رغبته هذه فأجابه ابن خميس "... أنا كالدم بطبعي أتحرك كل ربيع.." [٣]

ويذكر المقري في كتابه نفح الطيب نقلاً عن ابن خاتمة الأنصاري ما يفيد أن ابن خميس انتقل بعد ذلك من غرناطة إلي المرية للإقامة فيها عام ٧٠٦هـ/١٣٠٦م ، ثم عاد مرة أخرى إلى غرناطة بعد فترة وجيزة .[٤]

ومن المعلوم أن ابن خميس توفي مقتولاً ببلاط غرناطة ، يوم عيد الفطر أول شوال ٧٠٨هـ/١٣٠٨م ، بعد أن حلت النكبة بصاحبه الوزير ابن الحكيم ، يوم صحوة عيد الفطر ، مستهل شوال سنة ثمان وسبع مائة وهو ابن نيف وستين سنة [٥] وورد أن قاتله قال له أنا دخيل رسول الله عليك فلم يلتفت

، فلقب بذي الوزارتين ، توفي في غرناطة يوم عيد الفطر. انظر: المقري: أزهار الرياض ، ج٢، ص ٣٤١

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ص ٥٦٢.

(٢) المهدي البوعبدلي : أبو عبد الله محمد بن خميس ، ص ١٠.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص٥٢٨- ٥٢٩،

(٤) المقري : نفح الطيب ، ج٥، ص ٣٦٢.

(٥) يحي بن خلدون:بغية الرواد ،ج١، ص ١٠٩؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٣٢٤؛ Nizar F. Hermes: Ibn Khamis,p.١٥٦.

إليه ، وجعل يجهز عليه ، فقال له لم لم تقبل الدخيل بينى وبينك؟ فكان آخر ما سمعه منه "أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله"(١)

وعن وفاته يقول ابن الخطيب "... وتوفي في يوم مقتل صاحبه الوزير أبي عبد الله بن الحكيم فر من دهليز جاره فيمن كان بها من الأعلام بعد أن نهبت ثيابه حسبما جرى على غيره من الحاضرين وهو يقول هكذا تقوم الساعة بغتة. ولقيه بعض قرابة السلطان ممن كان الوزير قد وتره فشرع الرمح إليه فتوسل إليه برسول الله فلم يقبل منه وطعنه فقتله يوم عيد الفطر عام ثمانية وسبعماية وآخر العهد به مطرحًا بالعراء خارج باب الفخارين لا يعلم قبره لمكان الهرج في تلك الأيام. نسل الله جميل ستره. وساء بأثر قتله إياه حال ذلك الرجل وفسد فكره وشرد نومه وأصابته علة ردية فكان يثب المرة بعد الأخرى يقول ابن خميس يقتلني حتى مات لأيام من مقتل المذكور..."(٢)

ثانياً: أسباب اتهامه بالزندقة :

كان السبب في توجيه تهمة الزندقة لابن خميس إلمامه بالعلوم القديمة ، والمقصود بها الفلسفة ،وكثر استخدامه المصطلحات ذات التعبير الفلسفي وذات الصلة بعلم الكلام واللسان في كتاباته شعراً كانت أم نثراً، واعتبر البعض أن الفلسفة وعلم الكلام تمكنتا من ابن خميس ، وأنه لا يمكن أن يمر ذلك دون محاكمة علي استخدام مثل هذه الألفاظ ، وقد اتضحت في كتابات ابن خميس ورسائله عبارات فلسفية كثيرة ، وإشارات تدل علي ولعه بالفلسفة ، وهو ما آثار خصومه ضده .

وقد أورد ابن الخطيب في ترجمته لابن خميس فقرات كثيرة ذات دلالات فلسفية خلال نقله لرسائل ابن خميس ، وفي المحاكمة التي عقدت له في فاس والتي سيرد ذكرها في الصفحات التالية ، ناقشه فيها العلماء الذين حاكموه ، ففي إحدى رسائل ابن خميس والتي وردت في ترجمته في كتاب الإحاطة ، حوت الكثير من الإشارات ذات الدلالة الفلسفية الواضحة ، ومن

---

(١) يحيى بن خلدون : بغية الرواد، ج١، ص ١٠٩؛ المقري : نفح الطيب ، ج٥، ص ٣٦٢؛ عبد الوهاب بن منصور: المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله ابن خميس ، ص ٤١؛ عائشة جباري: جماليات الخطاب في أدب ابن خميس التلمساني ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر ، الجزائر، ٢٠١٩م، ص ٢٦.

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ص ٥٦٢.

هذه العبارات "... ولما قضت من أنديتها العربية أوطارها واستوفت على أشرف منازعها الأدبية أطوارها وعطرت بنوافح أنفاسها الذكية آثارها وأطلعت في ظلم أنفاسها الدجوجية كواكبها النيرة وأقمارها ، عطفت على معقلتها الشاذلية فحلت عقالها ، وأمر لها فراق الوطن ، فلما استمر لها حلالها استودعت بطنان تبالة آلها ، وتركت أهضامها المخصبة وحلالها ، أطلت على دارات العرب فحيت أطلالها ودعت لزيارة أختها اليونانية أذواء حمير وأقيالها ، أطمعتها بلمعية ألمعيتها الأعجمية ومثلها يطمع وجاء بها من قدماء الحكماء كل أوحدي الأحوذية ، فباتت تخب إليه وتوضع باحثة عن مركز دارتهم الفيثاغورية آخذة في إصلاح هيئتهم الإنكساغورية ، مؤثرة لما تدل عليه دقائق حقائق بقايا علوم مقايسهم البرهانية ، وتشير إليه رموز كنوز وصايا علماء نواميسهم الكلدانية من مأثور تأثير لاهوتية قواهم السيماوية، راغبة فيما يفاض على مادتها الجسمانية ، ويطرأ على عاقليتها الهيولانية من علويات آثار مواهبها الربانية موافقة لمثلهم المفارقة أفضل موافقة لما وافق من شوارد آرايهم الموفقة أحسن موافقة..."[١]

ويستدل من هذا الكلام وهذه المصطلحات التي استخدمها كثيراً في سياق كلامه ، أن الفلسفة وأسلوبها ومصطلحاتها كانت ظاهرة جلية في كتابات ابن خميس، وهو ما لم ينكره ، بل سيؤكد عليه بعد محاكمته في رسالته لصديقه القاضي أبي الفضل بن يحيى ، وهو ما يشير إلي اقتناعه بهذا العلم ، فقد أصبح بذلك ضليعاً فيه ملماً بأفكاره وآلياته مثل الفلاسفة الكبار ، الذين وطدوا فلسفتهم وعلمهم بها بأفكارهم المستقرة في عقولهم ، فابن خميس في تعبيراته هنا ينهج نهج الفلاسفة القدامي بل يذكرهم ويثني عليهم " ... ومثلما يطمع وجاء بها من قدماء الحكماء كل أوحدي الأحوذية.."[٢]

ولا ينكر الكثير من المؤرخين فلسفة ابن خميس ، ونبوغه في علم الكلام ، فعن اعتناقه للفسلفة يذكر ابن الخطيب في ترجمته لابن خميس أنه "... عالما بالمعارف القديمة ، مضطلعًا بتفاريق النحل.." [٣] والمقصود هنا بالمعارف القديمة العلوم الفلسفية ، علاوة على نبوغه في علم الكلام .

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ص ٥٥٩.

(٢) الموضع نفسه .

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص ٥٢٨-٥٢٩.

كما ذكر المقري في نفح الطيب على لسان المؤرخ ابن خاتمة الأنصاري في كتابه الذى نقل منه المقري مزية المرية علي البلاد الأندلسية شهادته عن ابن خميس في ترجمته له أنه كانت له"... مشاركة في العقليات..." [(١)]، وهذا إقرار آخر بولع ابن خميس بعلم الفلسفة .

وكانت الرسالة التي فجرت خصومه ضده رسالته لصديقه العالم أبي الفضل بن يحيى (كان حياً عام ٦٨٥هـ /١٢٨٦م) * أحد أشهر علماء فاس في تلك الفترة وكان مشرف مدينة فاس وقتها، وجاءت الرسالة في شكل قصيدة ، شرحها العالم المعاصر له والذي كان حاضراً محاكمته في مدينة فاس ابن هدية القرشي (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) * ، وعلق عليها وأطلق على تعليقاته هذه العلق النفيس والذي قام بالتركيز على شرح ألفاظها ومصطلحاتها اللغوية ،

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج٥، ص ٣٦٠-٣٦١.

* أبو الفضل ابن الفراء عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى الغساني غرناطي يكنى أبا بكر ويعرف بابن الفراء ومن علماء غرناطة بها ولد عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ، وبها نشأ وتعلم ، كنيته أبو بكر ، كان من أهل العلم الفضلاء ، وكان حسن السمت ، عظيم الوقار ، معروف بالزاهة والعدالة . كان حياً عام ٦٨٥هـ /١٢٨٦م . انظر : ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٤، ص ٨٠-٨١.

* القاضي ابن هدية القرشي: هو محمد بن منصور بن علي بن هدية، أبو عبد الله، القرشي التلمساني: قاض، أديب، خطيب، فقيه مالكي، من الكتاب البلغاء. من ولد عقبة بن نافع الفهري، نزل سلفه بتلمسان. قال المقري الكبير: "وخلفه بها إلى الآن (القرن الثامن الهجري). نشأ وتعلم بها، وولي قضاءها فأحسن السيرة، وكتب الرسائل عند الملوك الأوائل من بني يغمراسن بن زيان، وأصبح مستشارا لأبي تاشفين عبد الرحمن وكاتب سره، وأنزله فوق منزلة وزرائه، قلما يجري شيئا من أمور السلطنة إلا بمشورته. توفي بتلمسان، وشهد جنازته سلطانها أبو تاشفين، وولي ابنه أبا علي منصورا مكانه يومئذ. انظر : المقري: نفح الطيب، ج٥، ص ٢٣٤-٢٣٥ ؛ ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر، ١٩٠٨م، ص ٢٢٥ ؛ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣م، ج١٢،ص ٥٢-٥٣ ؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص ٣٦٦.

وكان ذلك بأمر من السلطان الزياني أبي تاشفين الأول ، فلباه له على وجه السرعة[١]، وكان ذلك بعد محاكمة ابن خميس في فاس ، والتي كان بطلها العالم أبو البركات الحسني * كما سيتضح في الصفحات التالية عند تناول المحاكمة ذاتها .

واعترف ابن هدية نفسه بأنه قام بشرح ألفاظ القصيدة دون التعرض للمضمون بقوله"...وطلبه مثل أمر وأمر الحكيم حكم محكم وعمل صالح عند أهل العلم معتمل أن أتضمن له بتبيان معاني الألفاظ اللغوية ، وتعيين ما يعن من إشارات الأغراض التاريخية ، من رسالة الأستاذ أبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس الحجري..." [٢]

وقد اعترف ابن خميس في هذه القصيدة صراحة بحبه للفلسفة وشغفه بها ، فقد شكا في رسالته لصديقه أبي الفضل بن يحيى خصومه الذين حاكموه على حبه للفلسفة وصنفوه في ديوان الضلال والكفر، وقد شرح ابن هدية القرشي ما ورد في قصيدة ابن خميس شرحاً لظاهر الألفاظ فيها فكانت النتيجة الحتمية أن اتهامه بالزندقة زاد لتصريحه بشغفه بها ، وثناؤه على الفلاسفة القدامي من غير العرب ، وكذلك من الفلاسفة المسلمين ، ومن الأبيات التي وقف عليها ابن هدية وقوفاً في ظاهر الألفاظ تعبير ابن خميس عن الفلسفة وولعه بها كفتاة جميلة بقوله :

أعجباً لها أيذوق طعم وصالها من ليس يطمع أن يمر ببالها

وأنا الفقير إلي تعلة ساعة منها وتمنعنى زكاة جمالها

---

(١) يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج١، ص ٢٠٨.؛ المهدي البوعبدلي: أبو عبد الله محمد بن خميس ، ص ٥؛

Meziane , Abdesselam . “ Ibn Khamīs,p.١٠٥٧.

* القاضي أبو البركات محمد بن علي الحسني ، من بلدة فاس في المغرب الأقصى ، وقاضي المدينة ، يعرف بالشواذكى ، من علماء فاس المشهورين ، كان فقيهاً مشهور، وكانت له كتابات في علم الكلام ، وله دراية بعلم اللسان ، تولي محاكمة ابن خميس التلمساني في فاس . انظر: ابن هدية : العلق النفيس ، ص ١٦٣.

(٢) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ٢٤.

كم زاد عن عيني الكرى متأنف يبدو ويخفي في خفي مطالها [١]

كما يسمي ابن خميس الفلسفة في موضع آخر بأحاديث الهوى في قوله :

أنسيب شعري رق مثل نسيمها فشمول راحك مثل ريح شمالها

وانقل أحاديث الهوى واشرح غريب لغاتها واذكر ثقات رجالها[٢]

كما أشار لأشهر الفلاسفة في قصيدته وبدأ بالفيلسوف والعالم هرمس* وأشاد بوصوله للكثير من الحقائق والعلوم التي لم يصل إليها أحد قبله ويقول:

بلغت بهرمس غاية ما نالها وناء لها لبعد منالها [٣]

كما أشار للفيلسوف اليوناني سقراط* في قوله :

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢١؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ٥٥٤.

(٢) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ٢١؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ٥٥٥.

* شخصية قديمة تكتفها الغموض ، اختلف المؤرخون في شخصيته، ولماذا دعي بثلاث العظمة ، منهم من رد الصفة لأنه ظهر في ثلاثة تراثيات كبرى بثلاث تجليات: فهو عند المصريين آخنوخ، وعند اليونانيين آرميس وعند المسلمين إدريس، فاليونانيون يعدونه يونانياً ، والمصريون القدماء يعتبرونه مصرياً ، والعرب يقولون أنه إدريس عليه السلام، يرى البعض أنه وصف بثلاث العظمة لأنه جمع بين ثلاث صفات وهي: النبوة والملك والحكمة . انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ج١، ص ٣٥٣؛ محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، ١٩٨٣م، ص ١٧٧؛ لويس مينار هرمس المثلث العظمة أو النبي إدريس ، ترجمة عبد الهادي عباس ، دار الحصاد ، دمشق ، ط١، ١٩٩٨م ، ص ٧-١٠.

(٣) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ٢١؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ٥٥٥.

وعدت على سقراط سورة كاسها فهريق ما في الدن من جريالـه [١]

ويشير كذلك بالفلاسفة المسلمين ومنهم الفارابي* وزهده ، واتقانه للموسيق أيضاً وتأليفه فيها كتابه الموسيقى الكبير بقوله :

وسرت إلي فاراب منها نفحة قدسية جاءت بنخبة آلها

ليصوغ من ألحانه في حانها ما سوغ القسيس من أرمالها [٢]

---

* الفيلسوف اليوناني سقراط ، ولد في أثينا عام ٤٦٩ق م ، من كبار فلاسفة اليونان ، ويلقب بأسطورة الفلاسفة ، تعلم الفلسفة وأتقنها وبرع فيها وقام بتعليمها ، وانحصرت الفلسفة عنده في دائرة الأخلاق ، قبض عليه بتهمة إفساد الشباب وافساد الدين والمعتقدات ، وراح في النهاية ضحية لحبه وشغفه بالفلسفة ، ولد عام ٤٧٠ق.م وتوفي عام ٣٩٩ ق.م انظر : مصطفي غالب : سقراط، دار الهلال ، بيروت، ١٩٨٩م، ص١١-٢٠؛ عزت قرني : الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ، نشر جامعة الكويت، ١٩٩٣م، ص ١٠٥-١٠٦.

(١) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ٢١؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ٥٥٥.

* الفيلسوف العربي الفارابي : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ، أصله من مدينة فاراب في بلاد الترك ، ولد بها عام ٢٦٠هـ/٨٧٤م .درس المنطق والفلسفة والنحو والرياضيات في بغداد بعد أن رحل إليه صغيراً وكانت بغداد مركز الحضارة والعلم في عهد العباسيين، وبرع في هذه العلوم وقام بتدريسها ، من علماء المسلمين المشهورين في علم الفلسفة ، قال عنه البعض أنه مؤسس الفلسفة العربية. توفي عام ٣٣٩هـ /٩٥٠م كان قد انتقل من بغداد إلى حلب ، وتوفي في رحلة له من حلب إلى دمشق عن عمر ثمانين سنة. انظر : ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء،تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ،د.ت، ج٢، ص١٣٨؛ ابن النديم: الفهرست ، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م، ص ١٨؛ جوزف الهاشم: الفارابى دراسة ونصوص ، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٨م ص ١٤.

(٢) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ٢١؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ٥٥٥

والغريب أن ابن خميس في قصيدته التي حوكم عليها كان يعاتب كل من يرى في علم الفلسفة زندقة وخروج عن الدين فيقول مخاطباً صديقه العالم أبا الفضل بن يحيى ، أن كل الفلاسفة الذين سبق ذكرهم لقوا مصيرهم وحوسبوا عللى حبهم للفلسفة وأن مصيره سيكون مصيرهم بقوله:

اعلم أبا الفضل بن يحيى أنني من بعدها أجرى على أسالها [١]

ويزيد عن ذلك بأنه يتعجب من عدم الأذى مع حبه للفلسفة بقوله:

ومن العجيبة أن أقيم ببلدة يوماً وأسلم من أذى جهالها

شغلوا بدنياهم أما شغلتهم عنى؟ فكم ضيعت من أشغالها[٢]

ويخاطب صديقه أيضاً بأنه لا تعجب من أن كل ما تراه في الفلسفة من عظمة وفكر يراه غيرك بهتاناً بقوله:

لا تعجبن لما ترى من شانها في حلها أن كان أو ترحالها

فصلاحها بفسادها ونعيمها بعذابها ورشادها بضلالها[٣]

وفي آخر قصيدته وجه ابن خميس آخر بيت للعالم أبي البركات الحسني عالم فاس ، والذي رأس المحاكمة ، يلومه فيها على اتهامه بالزندقة لحب الفلسفة ، وتصنيف شعره في ديوان الضلال والكفر، ويطلب منه أن يستفد من رسالته هذه والتي جاءت في شكل قصيدة انبهر بها الجميع ، ويطلب منه أن يبدل شكوكه بقوله:

وأنل أبا البركات من بركاتها وأدفع محل شكوكها بمحالها[١]

---

(١) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ٢٢؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ٥٥٦.

(٢) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ٢٢؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ٥٥٦.

(٣) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ٢٢؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ٥٥٦.

ومن الطبيعي أنه كانت لتعليقات وشروحات ابن هدية القرشي علي الألفاظ التي وردت في رسالة ابن خميس العلق النفيس بالغ الأثر في إثارة خصوم ابن خميس ضده ، واتهموه اتهاماً مباشراً بأنه من المعتقدين بالفلسفة والمؤمنين بها ، ويبرر محاكمته التي تمت ، بل يجرمه ويحكم عليه هو بالخروج من الدين ،فمن وجهة نظره أن هذا العلم عند أهل السنة وكافة الأشعرية مرآة للزندقة ولون من أولوان الضلالة ، بل وصل أن اتهم من يعتقد في الفلسفة ويؤمن بها بالكفر فيقول ابن هدية أن الفلسفة ".... عند أهل السنة وكافة الأشعرية عبارة عن الزندقة البحتة ، والضلالة المحضة والكفر المعلن..." (٢)

ثالثاً : محاكمة ابن خميس في فاس :

كانت التهمة الأساسية التي وجهها الفقهاء لابن خميس أنه اعتنق الفلسفة وأنه بفلسفته هذه يكون قد حاد عن الشريعة الإسلامية ، فقد كان السائد في العصور الوسطى أن البحث في الفلسفة زندقة وخروج عن الدين فشريحة كبيرة من الفقهاء في تلك الفترة كان اعتقادهم أن الفلسفة ".... عند أهل السنة وكافة الأشعرية عبارة عن الزندقة البحتة ، والضلالة المحضة والكفر المعلن..." (٣) وهو ما اتضح في محاكمات عديدة ، منها محاكمة ابن خميس، فقد انتهى من حاكموه إلي أن علمه بها لا يتطابق وإسلامه.

وقد وصف ابن هدية القرشي الذي يعتبر شاهد عيان على محاكمة ابن خميس العلماء الذين حضروا لمحاكمته بقوله "... فاتفق أن اجتمع في بعض محافلها الحافلة ، ومجالسها العامرة بأهل الفضل ، الآهلة بطائفة من حذاق الأشعرية ، وجماعة من فقهاء المالكية ،كالشريف أبي البركات ، وغيره من فقهاء القطر ، وفتحوا باب المذاكرة ، وسلكوا سبيل المناظرة ، وتفننوا في

---

(١) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ٢٢؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ٥٥٧.

(٢) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ١٥٩-١٦٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٠-١٦١.

الكلام إلي أن أخذوا في علم الكلام ، واستدراجاً لابن خميس ، واستخراجاً لخب مذهبه الفلسفي ...". [١]

ويتضح من كلام ابن هدية القرشي أن ابن خميس قبل محاكمته لم يكن قد اعترف صراحة بحبه للفلسفة وشغفه بها ، وإنما كان الظاهر أنه عالماً وملماً بعلم الكلام ، والذي كانت للعالم أبى البركات نفسه كتابات في هذا العلم.[٢]

ويؤكد ابن هدية القرشي عدم إفصاح ابن خميس عن حبه للفلسفة كعلم برع فيه من خلال كتاباته بقوله أن الهيئة المحاكمة له كانت تتفنن في الكلام بطريقة المناظرة التي كانت عن علم الكلام واللسان وليست عن الفلسفة ، والغرض من ذلك كله حسبما ذكر ، استنطاق ابن خميس بعبارات فلسفية ، والغرض كله هو أخذ اعترافات صريحة منه بحبه للفلسفة ، ويدلل على ذلك استخدام ابن هدية لفظ استدراج ، والذى ينظر إلى معنى كلمة استدراج في اللغة يصل إلى أن ابن خميس لم يكن قد اعترف قبل محاكمته صراحة بحبه وشغفه بالفلسفة في كتاباته ، ويعرف ابن منظور(ت٧١١هـ/١٣١١م) الاستدراج على أنه من ".. ودَرَّجَه إلى كذا واسْتَدْرَجه، بمعنًى، أَي أَدناه منه على التدريج، فتَدَرَّجَ هو. وفي التنزيل العزيز: سنستَدْرِجُهُم من حيثُ لا يعلمون؛ قال بعضهم: معناه سنأْخُذُهم قليلاً قليلاً ولا نُباغِتُهم؛ وقيل: معناه سنأْخذهم من حيث لا يحتسبون؛ وذلك أَن الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به فيركنون إِليه ويأْنسون به فلا يذكرون الموت، فيأْخذهم على غِرَّتِهِم أَغْفَلَ ما كانوا. ..... وروي عن أَبي الهيثم: امتنع فلان من كذا وكذا حتى أَتاه فلان فاسْتَدْرجه أَي خدعه حتى حمله على أَن دَرَجَ في ذلك..." [٣] .

ومن المفهوم اللغوى لمعنى الكلمة اتضح أن هيئة محاكمة ابن خميس وعلى رأسها العالم أبو البركات الحسني كانت تستنطق ابن خميس بطريقة الاستدراج ، لامتناعه عن الاعتراف صراحة بحبه للفلسفة فأخذوا في محاورته بعلم الكلام في شكل خداع حتى يحصلوا منه على القصد من عملية المحاكمة وهو إثبات فلسفته وولعه بها .

---

(١) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ١٦١-١٦٣.

(٢) الموضع نفسه.

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ج١٣،باب الدال ، ص١٣٥٢.

كما أنه يدلل على كل ما سبق أنه إن كانت هناك كتابات يعترف فيها ابن خميس بحبه للفلسفة وولعه بها فلماذا لم تتم محاكمته من خلال ما كتب أي من خلال محاكمة كتاباته هو، والحكم على ما كتب قبل المحاكمة العلنية في شكل مناظرة في علمي الكلام واللسان، وهو ما تم مع علماء كثيرين في المغرب والمشرق وتم إعدام مؤلفاتهم بعد ثبوت ذلك عليهم واتهامهم بالذندقة ، وقد اتضح ذلك في قول ابن هدية القرشي عن المحاكمة "... واستخراجاً لخب مذهبه الفلسفي .."[١] أي أن القصد من كل ذلك الحصول علي تصريح منه بحبه للفلسفة وولعه بها.

أما عن سير المحاكمة ودفاع ابن خميس عن مذهبه الفلسفي ، فابن خميس كان رجلاً محنكاً ذكياً ، لديه من الكياسة القدرة علي تقديم الحجج والبراهين ، وقد تجلى ذلك عندما تكلم عن مذهبه الفلسفي فبدأ عددًا منهم يستمع له ،ولحجته القوية في الدفاع عن نفسه ، بدأ يسيطر فكرياً على بعض الحاضرين ، وليس أدل على ذلك من صنتهم للاستماع إليه دون مجاراته في الحوار ،،وهو ما جسده ابن هدية بقوله "..... وتخلى القوم عنهما..." [٢] ، يقصد صمت الحاضرين جميعاً.

إلا أن القاضي أبو البركات الحسني مقلداً نفسه هيئة المحاكمة وحده، استمر في المحاكمة ، يحاول استخراج أي من الألفاظ التي يدين بها ابن خميس تمهيداً للحكم عليه بالذندقة والكفر ، فاستمر في منازلته وعلى الجانب الآخر استمر ابن خميس يضاهي الحجة بالحجة ، وتحولت المناظرة كلها لحوار ومناظرة حادة بين العالمين ، والقاضي أبو البركات كان كل همه في المناظرة أن يستنطق ابن خميس بأي جمل تمثل إدانة له ،وعن ذلك يقول ابن هدية "..... فانبري له الشريف أبو البركات معارضاً ولمذهبه السيء مناقضاً ، وكثر القول منهما ..."[٣]

وبالفعل نجح القاضي أبو البركات في إخراج بعض الألفاظ من ابن خميس تؤكد اعتناقه للمذهب الفلسفي ،وجسد ابن هدية شاهد العيان على

---

(١) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ١٦٢.

(٢) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ١٦٣-١٦٤؛ راجع أيضاً :المهدي البوعبدلي: أبو عبد الله ابن خميس ، ١٠.

(٣) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ١٦٣-١٦٤؛

المحاكمة ذلك بقوله "..، فامتد الجدال بينهما ، فلم يكن بأسرع من أن خاس ابن خميس ، وخاست فلسفته...". (١)

ولما رأي ابن خميس ما آلت إليه المناظرة لزم الصمت ، ليس لأنه فقد الحجة ولكن لأنه أدرك ما يحاك له من فقهاد فاس المحاكمين له وعلي رأسهم القاضي أبو البركات ، الذي كان كل همه استنطاق ابن خميس بأي أدلة إدانه تمهيداً لاتهامه بالزندقة وعليه الحكم عليه بالخروج عن الملة مما يترتب عليه إعدامه. (٢)

ونجح القاضي أبو البركات في النهاية في تحقيق الهدف من محاكمة ابن خميس ، وصنفه ضمن من خرجوا عن الملة بعلمهم هذا ، وأنزل شعره منزلة الضلال والكفر ، وعن ذلك يقول ابن هدية القرشي".... فرسمه الشريف أبو البركات في ديوان الضلال والكفر ، ورسمه مع ما وسمه الله به من التفلسف بانتحال الشعر..". (٣)

وبعد هذه المحاكمة التي وصل مغزاها إلي ابن خميس -واستقر في نفسه رغبة خصومه في النيل منه - قرر الفرار من المحاكمة ، فلم يلبث أن حل الليل حتي اتخذ ابن خميس القرار السريع بضرورة الفرار من مدينة فاس ، والعودة مرة أخري إلي تلمسان ، وفضل حياة العزلة والبعد عن الناس .(٤)

وأكد ابن خميس من خلال شعره أن ما حدث له كان طبيعياً ، كما أكد أنه ليس الأول أو الأخير الذي سيتعرض لما تعرض له هو ، بل إن ذلك أمراً

---

(١) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ١٦٣-١٦٤؛ راجع أيضاً المهدي البوعبدلي: أبو عبد الله ابن خميس ، ص ٩.

(٢) ابن هدية القرشي: العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، ص ١٦٣-١٦٤.

(٣) الموضع نفسه .

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص٥٦٢ ؛ راجع أيضاً : الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان (٦٣٣-٩٦٢هـ/١٢٣٦-١٥٥٤م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠٠٥م، ص ٢٨٣؛

Meziane , Abdesselam . “ Ibn Khamīs,p.١٠٥٧.

طبيعياً ، طالما أن البعض لازال لا يؤمن بالعلوم الفلسفية وغيرها من العلوم ، وجسد ذلك بقوله :

ومن العجائب أن أقيم ببلدة يوماً وأسلم من أذى جهالها

شغلوا بدنياهم أما شغلتهم عني فكم ضيعت من أشغاله شمس

حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم شمس الهدى عبثوا بضوء ذبالها [١]

وثمة نصاً آخر من نصوص ابن خميس كان عباره عن رسالة ، أرسلها ابن خميس إلي صديقه قاضي فاس أبي غالب المغيلي ، وربما ظلت في خزانة القاضي أبي غالب حيث ورد عن ولده أنه كتب في ختامها ما يفيد بأن مرسلها أبو عبد الله محمد بن خميس من تلمسان إلي والده عام ٦٨٢هـ ١٢٨٤م ، بعد فراره من فاس . [٢]

يتاول فيها ابن خميس استهجانه لما تم في محاكمته الهزلية ، معاتباً من حاكموه ، واصفاً إياهم بالعصابة التي سعت للنيل منه دون وجه حق، وكرر لومه لهم أيما لوم على عدم إلمامهم بالعلوم والمعارف فهم علماء بلا علم ، وفقهاء بلا فقه ، وأنه وعلمه المنتصر في النهاية ، ووصف أبو البركات بأنه صعلوك يريد أن يتسلق علي أعناقه ليصل إلى مرتبة عالية، ويصرح فيها أن العلم بهذه المحاكمة مات ، فالعلم مات بموت العلماء ، وعم الجهل وحكم ، ومما جاء فيها "... لا غالب اليوم لأني غالب ، ولا طالب يدرك شأو هذا الطالب فقه بلا تفهيق وحذق في تحذلق. أقسم أبا الفضل بمالك على أبي البركات من الفضل ذلك العراقي الأرومة لا هذا الفارس الجرثومة وإن يك ذلك إسرايلي الأصل وهذا إسمعيلي الجنس علوي الفضل..... أرأيت في عمرك مثل هذا الصعلوك لا والله ما على ظهر هذه الغبراء من يتظاهر بمثل هذه المعرفة في بني غبرا. .... مات العلم بموت العلماء وحكم الجهل بقطع دابر الحكماء. ..." [٣]

ويتضح مما سبق أن محاكمة ابن خميس كانت محاكمة على علمه واعتناقه للفلسفة واقتناعه بها ، وهو ما كان مجرماً عند البعض في تلك الفترة

---

(١)العبدرى: الرحلة المغربية، ص ٣٢؛ ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص ٥٥٦.

(٢) المهدى البوعبدلي : عبد الله محمد بن خميس ، ص ١١.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص ٥٦٠-٥٦١.

، وربما كان هذا موروث قد ورثه المغرب الإسلامي من شيوخ الموحدين ورجال دينهم ، وبخاصة الفقهاء ، وامتد ذلك من حدود الدولة الموحدية من المغرب الأدني إلي حدود المغرب الأقصى ، وهو ما جعل الدول التي ورثتهم في الأرض تتأثر كثيراً بفكرهم إلي فترات طويلة بعد نهاية دولتهم .

رابعاً: ابن خميس في ميزان العلماء :

قبل الخوض في غمار رأي العلماء الذين ترجوا لابن خميس في علومه المختلفة ، لابد من الإشارة لعصر ابن خميس من الناحية العلمية ، والجو الذي نشأ وتربي فيه ، وكون فكره ، فمن الممكن أن تكون هناك مؤثرات قد أثرت في تكوينه الفكري ، وجواً خلق عنده حب علم الكلام والمنطق ، ثم تبلور ذلك فيما بعد في حبه للفلسفة ، والعلوم القديمة .

فمن المعلوم أن عالمنا ابن خميس كان قد نشأ في بلاد المغرب الأوسط في عهد دولة من الدول التي جعلت من تلمسان عاصمتها منارة فكرية في بلاد الغرب الإسلامي بصفة عامة ، كعالم من علمائه في جو سادته المعارك الفقهية ، والتألق الفكري ، فنشأ بين تلك المعارك الفقهية والعقائدية ، يصارع ويعارك بأفكاره ومعارفه أعداء الحكمة.(١)

وقد كان ميراث الدولة الزيانية للدولة الموحدية فكرياً أيضاً، فقد اتسمت تلك الفترة بالصراع الفكري بين فقهاء المذهب المالكي والموحدين من جهة ، وبين الصوفية من جهة أخري ، وهو عصر تشبع بهذا الصراع ، وكان من الطبيعي أن يتشبع الشاعر ابن خميس نفسه بالثقافة التي كانت سائدة في تلك الفترة .(٢)

---

(١) يحي بن خلدون: بغية الرواد،ج١، ص ١٠٩؛ ؛ ابن قنفذ : الوفيات ، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجدية ، بيروت، ص ٣٤٠-٣٤٢؛ راجع أيضاً :سميحة شرقي: فلسفة ابن خميس التلمساني في أنموذج مختار من شعره : قصيدة العلق النفيس ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قاصدى مرباح، الجزائر ، ٢٠١٨.م، ص ١١؛

Nizar F. Hermes: Ibn Khamis,p.١٥٦.

(٢) ابن مريم : البستان، ص ٢٢٥؛ راجع أيضاً :زليخة شعبان صاري: تلمسان في شعر ابن خميس، ص ٨٧.

وفي عصر الموحدين شهد الغرب الإسلامي تطور علم الكلام واختلاطه بالفلسفة ، ومع تشجيع الأمراء للعلماء والأدباء في تلك الفترة ، برز عدد كبير من المفكرين والعلماء والشعراء ، حتي عرف عصر الموحدين بعصر العالم الفقيه والشاعر ، وورثت الدولة الزيانية المغرب الأوسط عن الموحدين وورثت معه تشجيع العلم والعلماء ، وهو ما أثر في حياة العلماء في المغرب في تلك الفترة ، فقد عشقوا حياة التنقل والترحال للقاء العلماء وتحصيل العلم ، واقتناء مختلف العلوم ، وفي هذه الأجواء نشأ وتربي ابن خميس التلمساني ، فكان لعصره وظروف نشأته أثر في فكره وفلسفته. (١)

وقد اتضح أن ابن خميس لا يعدو عن كونه أحد الباحثين عن الحقيقة والحكمة ، فقد عرف عنه الترحال والتنقل بين مدن الغرب الإسلامي وهو ما أقره بنفسه بمقولته الشهيرة "... أنا كالدم بطبعي أتحرك كل ربيع.."(٢) علاوة على أنه مفكراً وفقيهاً وزاهداً متصوفاً ، علاوة علي ذلك كان شاعراً من خيرة الشعراء . (٣)

وثمة عدد من المؤرخين والرحالة كانوا قد شهدوا بعلم ابن خميس ومكانته في تلك الفترة ، ولم يشيروا إلي اتهامه بزندقة أو ما شابه ذلك، بل أقروا بعلمه الغزير وبخاصة علم الأدب شعره ونثره ، وعلي الرغم من أن هذه الشهادات كلها تؤكد ضلوعه في علم الفلسفة وعلم الكلام ،فإنها كلها تحمل معنى الثناء علي علم ابن خميس مما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن محاكمته لم تكن منصفة ، وأنها كانت بقصد النيل منه ليس إلا .

علي رأس هذه الشهادات جاءت شهادة الرحالة محمد العبدري البلنسي(ت ٧٣٠هـ/١٣٣١م) وقد التقي بعالمنا ابن خميس وجهاً لوجه في تلمسان ، وأثني عليه بقوله"... وما رأيت بمدينة تلمسان من ينتمى إلى العلم ولا من يتعلق منه بسبب سوى صاحبنا أبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس

---

(١) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج١، ص ١٠٠-١٠١؛ راجع أيضاً : سميحة شرقي: فلسفة ابن خميس التلمساني في أنموذج مختار من شعره ، ص ٩-١٠؛

Nizar F. Hermes: Ibn Khamis,p.١٥٦-١٥٨

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص٥٢٨- ٥٢٩،

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص٥٢٨- ٥٢٩،

وهو فتى السن مولده عام خمسين (٦٥٠هـ) ، وله عناية بالعلم .... وحظ وافر من الأدب ، وطبع فاضل في قرض الشعر .." [١]

والأمر المهم جداً هنا أن العبدري تحدث مع ابن خميس في علوم شتى ، وأثنى على فكره وعلمه ومدى إلمامه بالعلوم ، وكذلك أثنى على زهده في الدنيا بقوله"...كنت آنس بابن خميس ، وأكثر مجالسته ومفاوضته وأعجبني ذهنه وحاله فإنى وجدته على حال انزواء وتقلل من الدنيا ..." [٢]

والمتمعن في ترجمة ابن الخطيب لابن خميس الذي توفي حسبما ذكر ابن الخطيب الذى ترجم له في الإحاطة في عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، أي أنه كان قريباً من عصر ابن الخطيب ، فكانت ترجمته وافية ، بل دافع عنه ابن الخطيب في ترجمته له بقوله"... كان رحمه الله نسيج وحده زهدًا وانقباضًا وأدبًا وهمة حسن الشيبة جميل الهيئة سليم الصدر قليل التصنع بعيد عن الريا والهوادة عاملًا على السياحة والعزلة..... [٣]

ومما سبق يتضح إقرار ابن الخطيب نفسه أن ابن خميس كان من زهاد عصره ، ومن المعروف أن للمتصوفة والزهاد أفكاراً وعادات وتقاليد إلي حد ما تجعلهم عرضة للكلام من غيرهم من العلماء ، بل في كثير من الأحيان تعرض هؤلاء للنقد اللاذع .

ويستمر ابن الخطيب في الثناء علي ابن خميس بتوليه المناصب الإدارية في الدولة الزيانية ، وعلى الرغم من أن هذا ليس دليلاً علي برائته مما نسب إليه من عدمه ، لكنه يدلل على مكانة ابن خميس ، وتمكنه من اللغة والأدب ، فالكتابة والإنشاء تتسم عن غيرها من المناصب الإدارية كونها تحتاج لصفات خاصة وتمكن من اللغة والأدب .[٤]

كما أن ابن خميس عالم تلمسان هو نفسه ابن خميس عالم غرناطة المعروف والمشهود له بقيمته بين العلماء فيها ، وجسد ابن الخطيب ذلك بطريقة استقبال العالم والوزير ابن الحكيم له وعبر عنها بقوله "... فاهتز

---

(١) العبدري: الرحلة المغربية، ص ٣٠-٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص ٥٢٨ ،

(٤) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٢٩،

الوزير ابن الحكيم لتلقيه..." [١] ، مما يدلل على هيبة ومكانة ابن خميس العلمية .

وإقرار ابن الخطيب بعد ذلك أن العالم والوزير ابن الحكيم "... ومت إليه بالوسيلة العلمية واجتدبه بخطبة التلميذ واستفزه بتأنيسه وبره وأقعده للإقراء بجواره..." [٢] ، أي أنه أجلسه لتعليم تلامذته من طلاب العلم ، ليعلمهم العلوم وعلى رأسها اللغة العربية وعلومها ، والسؤال الذي يمكن طرحه هنا ن ماذا لو أن فكر ابن خميس كان مشوشاً أو كان لا يتماشي مع منهج العلماء الأندلسيين في الفكر والتدريس ، هل كان سيسمح له بالتدريس في غرناطة؟ أم أنه كان سيجنب تلامذته الجلوس معه والاحتكاك به؟ وهذه شهادة أخري في حق ابن خميس من الناحية العلمية ، وتجسد ذلك كله بتمسكه به ومحاولته إثنائه عن فكرة ترك غرناطة عندما فكر في ذلك ، وحزن لذلك حزناً شديداً ، وعبر عنه ابن الخطيب بقوله "... فشق ذلك عليه وكلفنا تحريك الحديث بحضرته..." [٣] أي أنه طلب من طلابه أيضاً أن يساعدوه في عدول ابن خميس عن الرحيل .

وتكفي ابن خميس التلمساني شهادة المؤرخ لسان الدين بن الخطيب فيه علي النحو سالف الذكر ، علماً بأن ابن خميس توفي قبل ابن الخطيب بسبعة عقود أي أن ابن خميس إن صحة تهمته بالزندقة لماذا لم يشر ابن الخطيب إلي ذلك ، بل وصفه ابن الخطيب بأنه عالم من العلماء المشهود لهم بالعلم وبرجاحة العقل ، وأشاد كذلك بمعرفته بالعلوم القديمة ، وبراعته بعلم الكلام "... عالماً بالمعارف القديمة ، مضطلعًا بتفاريق النحل..." [٤].

ومن القريبين لعصر ابن خميس أيضاً العالم والمؤرخ المغربي مؤرخ دولة بني زيان أبو زكريا يحيى بن محمَّد بن خلدون (ت ٧٨٠هـ/١٣٧٩م) فقد أشاد به في مواضع كثيرة ، وأثني عليه وعلى علمه ، وكتابته للسلطان الزيانى ،

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص ٥٢٩،

(٢) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٢٩، ٥٣٠.

(٣) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٢٩،

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ص ٥٢٨-٥٢٩.

وقربه من بنى زيان ، وأشاد بإالمامه للأدب ، حتى عرف بأنه " ...شاعر المائة السابعة.." [١]، مما يدلل على مكانة ابن خميس العلمية.

وشهادة أخرى لابن خميس جاءت هذه المرة على لسان قاضي القضاة العالم المشرقي تقس الدين بن دقيق العبد (ت ٧٠٢هـ/١٣٠٢م) [*٢] ، أوردها المقري في كتابه نفح الطيب، ويذكر أن السلطان المريني أبو عنان ذكر العالم أبو عبد الله بن إبراهيم الآبلي قال فيها "... لما توجه الشيخ الصالح أبو اسحق التنسي من تلمسان إلي بلاد المشرق واجتمع هناك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العبد ، فكان من قوله : كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس ؟ وجعل يحليه بأحسن الأوصاف ويطنب في ذكر فضله ، فبقي الشيخ أبو اسحق متعجباً وقال : من يكون الذي حليتموه بهذا الحلي و لا أعرفه ببلده فقال هو القائل عجباً أيذوق طعم وصالها ، قال فقلت له إن هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتم إنما هو عندنا شاعر فقط ، فقال له إنكم لم تنصفوه وإنه لحق بما وصفناه به..."[٣] ، ويضيف المقري أن القاضي ابن دقيق العبد كان يضع القصيدة المذكورة في خزانة تعلو موضع جلوسه للمطالعة ، وكان يخرجها من تلك الخزانة ويكثر تأملها والنظر فيها.[٤]

---

(١) يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج١، ص ١٠٩..

* القاضي أبو الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري المصري المنفلوطي المعروف بابن دقيق العبد ، ولد سنة ٦٢٥ هـ ١٢٢٧م بساحل مدينة ينبع من أرض الحجاز ، وهو من العلماء المشهورين في علم الحديث والأصول ، وكان من علماء اللغة العربية أيضاً ،المالكي الشافعي المذهب ، تولي قضاء مصر ، توفي بالقاهرة عام ٧٠٢هـ /١٣٠٢م. انظر: العبدري : الرحلة المغربية ، ص ١٣٨-١٤٥.

.

(٣) المقري:أزهار الرياض، ج٢، ص ٣٢٢؛ نفح الطيب ، ج٦، ص ٣٠٥ ؛

(٤) المقري: نفح الطيب ، ج٦، ص ٣٠٥ ؛ راجع أيضاً : عبد الرحمن الأعرج: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص ٥٢.

ويتضح من الرواية سالفة الذكر أن العالم ابن خميس كان قد ذاع صيته ووصل لبلاد المشرق الإسلامي ، وهو شيء طبيعي في العصور الوسطي ، فالعلماء سيرتهم تصل بين المشرق والمغرب بترحالهم وتنقلهم ، أو عن طريقم تلامذتهم ، أو حتى مؤلفاتهم ، من هنا وصل علم ابن خميس إلي بلاد المشرق ، وهو ما جعل ابن دقيق العبد يسأل عنه بلهفة عندما التقي بأحد العلماء المغاربة ، وسأل عنه ووصفه بأحسن الصفات ، وأشاد بعلمه ، وأشار في شهادته هذه إلي إحدى قصائده المشهورة ، وأنه يحتفظ بها في مجالسه باستمرار للتأمل فيها .

كما أورد أبو الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ت نحو ٧٩٢هـ/١٣٩٠م): في ترجمته لابن خميس قوله"... أتى فيه بفنون العلم وضروب الأدب، بما دل على براعته. وكان جميل الأخلاق، جم المشاركة، مفيد المجالسة..." [١]

خلاصة القول هناك إجماع بين المؤرخين علي علم ابن خميس وإالمامه بعدد من العلوم ،كما أنه هناك إجماع على تصوفه وزهده ، وليس ثمة دليل على زهده في الدنيا وميله للتصوف من أنه كان في بداية حياته في تلمسان يعيش في قصور بنى زيان ككاتب في ديوان الإنشاء وكان في إمكانه يرقى بسهولة إلى أعلى المناصب ، ويستمر في عيشة الرفاهية والترف ، لكنه اختار حياة الزهد والتقشف بدلاً من حياة القصور . [٢]

وربما كان حبه للزهد والتصوف السبب في البحث عن الحكمة والمعرفة وتعلم الفلسفة التي كانت من وجهة نظره علوم الأوائل ، [٣] ونتج عن حبه لتعلم الفلسفة ما أنتجه من شعر في رسائله المختلفة، وقصائده التي حوكم عليها واتهم بالزندقة والخروج عن الدين، لكن أكثر قصيدة كان لها صدى تلك القصيدة التي أرسلها كرسالة لصديقه العالم الفضل بن يحيى ، والتي كان قد

---

(١) النباهي: المرقبة العليا، ص ١٣٥.

(٢) المهدي البوعبدلي: أبو عبد الله محمد بن خميس ، ص ١٠؛

Nizar F. Hermes: Ibn Khamis,p.١٥٦.

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢، ص ٥٢٨؛ المقري: نفح الطيب ، ج٦، ص ٣٠٥ .

شرحها ابن هدية القرشي ، والتي اعترف فيها صراحة بحبه للفلسفة ، وأشاد بالفلاسفة الأوائل ، فزادت من فرص خصومه للنيل منه بعد ذلك.(١)

الخاتمة:

بعد انتهاء الباحثة من دراسة هذا الموضوع تم التوصل لعدد من النتائج المهمة منها :

- تأثر فكر ابن خميس كثيراً بأحوال المغرب الأوسط العلمية ، فمن ناحية اهتم سلاطين بني زيان بالعلم والعلماء وهذا ثابت في المصادر التاريخية ويدلل عليه الإنتاج العلمي لعلماء المغرب الأوسط في تلك الفترة ، ومن ناحية أخري تأثر أيضاً بما كان من مناظرات فكرية في شكل معارك فقهية ، تمخض عنها عدد من العلماء والمفكرين برعوا في شتي العلوم ، كما انعكس علي تطور علم الكلام ، وتبلور ذلك كله في اعتقاد البعض بعلم الفلسفة ومنهم عالمنا ابن خميس .

- كان اتهام ابن خميس بالزندقة أمر يتعلق بمبدأ فقهي روج له بعض الفقهاء في تلك الفترة ، وورثه فقهاء تلمسان كغيرهم من الفقهاء في البلاد الإسلامية ، بسبب اعتقاده في علم الفلسفة ، والفلسفة عند شريحة من فقهاء الأمة في تلك الفترة تعتبر خروج عن الملة ، والاعتقاد بها والتعلق بأفكارها يستوجب المحاكمة ، وقد يصل الحكم بالإعدام ، وهو ما نجى منه عالمنا ابن خميس بعد قراره بالفرار من فاس في جنح الليل قبل صدور حكم الفقهاء الفاسيين بزندقته وإعدامه .

- لم يقلل اتهام ابن خميس بالزندقة لفلسفته من كونه عالماً له مكانته في بلاد الغرب الإسلامي ووصل صيته إلي بلاد المشرق، وأجمع المؤرخون علي قدرته العلمية وبخاصة في اللغة والأدب ، كما أنه هناك إجماع على تصوفه وزهده ، وربما كان ذلك السبب المباشر في البحث عن الحكمة والمعرفة وتعلم الفلسفة التي كانت من وجهة نظره أحد أهم علوم الأوائل .

- يدلل علي علم ومكانة ابن خميس العلمية ما ورد من ترجمات له ، أغفل الكثير ممن ترجموها لموضوع الفلسفة وموقفه منها ، وموقف الفقهاء من فلسفته ، مع إشادتهم بزهده وتواضعه وعلمه الغزير ، وعلى رأس من أشاد بعلمه يأتي المؤرخ القريب من عصره ابن الخطيب ، الذي أورد عبارات كثيرة دافع فيها عن ابن خميس ، وكذلك المؤرخ يحيى بن خلدون الذي أشاد

(١) ابن هدية القرشي : العلق النفيس ،ص ٢٠-٢٥.

أيضاً بمكانته العلمية وتمكنه من اللغة والأدب والتي تولي بها كتابة الإنشاء لسلاطين بنى زيان ، كما شهد لابن خميس غيرهم من المؤرخين .

- لم ينته اتهام ابن خميس بالزندقة لفلسفته بمحاكمته ، وإنما كانت محاكمته نقطة تحول كبرى في انتشار خبر فلسفته واتهامه بالزندقة ، حيث طلب السلطان الزياني من العالم والفقيه ابن هدية القرشي أن يقوم بتحليل رسالة ابن خميس لصديقه الفضل بن يحيى فقيه فاس التي كانت في شكل قصيدة أكثر من رائعة وهو وصف المؤرخين والأدباء لها ، وبتحليل ابن هدية واستخراج كل الإشارات الفلسفية في القصيدة ، انتشر الخبر كالنار في الهشيم ، ونال خصوم ابن خميس منه بنشر اعتقاده في الفلسفة أملاً في محاكمته والتخلص منه .

- كان سير محاكمة ابن خميس ملفت للنظر إلى حد كبير ، فالثابت ممن تانولها من المؤرخين أن ابن خميس دافع بحجج قويه عن فلسفته والاعتقاد بها ، وجاءت في شكل مناظرة في علم الكلام ، ومن تمكن ابن خميس صمت الأغلبية أمام حججه، لكن ومع ذلك كان القاضي أبو البركات يصر إصراراً كبيراً على استدراج ابن خميس للحصول منه على أي دليل إدانه من كلامه هو ، وهو ما تمكن منه بصمت ابن خميس بعد إداركه ما يحاك له علي يد فقهاء فاس ، وهو ما شهد به أحد شهود العيان على المحاكمة وهو القاضي ابن هدية القرشي ، وأدان القاضي أبو البركات ابن خميس ،وحكم بزندقته ففر ابن خميس ليلاً.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ابن الأحمر: (أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر ت ٨٠٧هـ /١٤٠٥م) روضة النسرين فى دولة بنى مرين- تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٦٩م.

- النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تحقيق عدنان محمد آل طعمة،دار سعد الدين، دمشق، ١٩٩٢م.

- ابن أبي أصيبعة : ابن أبي أصيبعة : أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين(ت ٦٦٨هـ /١٢٧٠م : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ،د.ت

- البغدادى : صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م):مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع- تحقيق على البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٥٤م.

- ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٤م

- ابن خلدون: أبو زكريا يحي بن خلدون (ت ٧٨٠ هـ/ ١٣٧٨م):بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد – تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٨١م.

- ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحاتة ، بيروت، ٢٠٠٠م.

-الحميرى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت أواخر القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى): الروض المعطار فى خبر الأقطار – تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٤م.

- السيوطى : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جلال الدين(ت٩١١هـ/ ١٥٠٥): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أحمد أبو الفضل، دار الفكر ، بيروت، ١٩٧٩م.

- الشهرستاني (أبو الفتح الشهرستاني ت ٥٤٨هـ /١١٥٣م) :الملل والنحل ، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.د.ت

- العبدرى : أبو عبد الله محمد بن محمد الحيحى(ت٧٠٠هـ/١٣٠٠م) : الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، دار بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ٢٠٠٧م

- ابن قنفذ القسنطينى: أبو العباس أحمد الخطيب (ت ٨١٠ هـ/ ١٤٠٧م): كتاب الوفيات– تحقيق عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، طـ٤، ١٩٨٣م

- ابن مريم : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد(ت ٧٧١/١٣٧٠م): البستان فى ذكر الأولياء بتلمسان ، المطبعة الثعالبية، الجزائر ، ١٩٠٨م.

- المقرى : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م): أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض – تحقيق مصطفى السقا وعبد الحفيظ شلبى، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ، ١٩٤٠م.

– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ،دار الفكر العربي، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م.

- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، د.ت.

- النباهي: أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي النباهي المالقي الأندلسي (ت نحو ٧٩٢هـ/١٣٩٠م): المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا(تاريخ قضاة الأندلس)، تحقيق لجنة إحياء التراث ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت،طـ٥، بيروت ، ١٩٨٣م.

- ابن النديم : محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق؛ أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم(ت ٣٨٠هـ / ٩٩٤م): الفهرست ، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن،٢٠٠٩م.

- ابن هدية القرشي (محمد بن منصور بن علي بن هدية ت٧٣٦هـ /١٣٣٧م) : العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس ، تحقيق محمد علال سيناصر، الدار البيضاء ، المغرب ،٢٠١٥م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة :

- الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان (٦٣٣-٩٦٢هـ/١٢٣٦-١٥٥٤م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠٠٥م،

- جوزف الهاشم: الفارابى دراسة ونصوص ، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٨م

- زليخة شعبان صاري : تلمسان في شعر ابن خميس ، مجلة الفضاء المغربي، كلية الآداب واللغات ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، ع٤، ٢٠٠٧

- زينب بن زيادي: دور علماء تلمسان الزيانية بفاس خلال القرنين (٨-٩هـ/١٤-١٥م) ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة غرداية، ٢٠١٥م

- سميحة شرقي: فلسفة ابن خميس التلمساني في أنموذج مختار من شعره : قصيدة العلق النفيس ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قاصدى مرباح، الجزائر ، .٢٠١٨م

- صالح محقن: إسهامات علماء المغرب الأوسط في مجال الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف ، الجزائر، ٢٠٢٢م،

- طاهر توات : ابن خميس شعره ونثره ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ١٩٩١

- عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م .

- عائشة جباري: جماليات الخطاب في أدب ابن خميس التلمساني ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر ، الجزائر، ٢٠١٩م

- عبد الرحمن الأعرج: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠٠٨م.

- عبد الوهاب بن منصور : المنتخب النفيس من شعر ابن خميس ، مطبعة ابن خلدون ، تلمسان، ١٩٦٥م

عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣م،

- محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، ١٩٨٣

- مصطفي غالب : سقراط، دار الهلال ، بيروت، ١٩٨٩م، ص١١-٢٠؛ عزت قرني : الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ، نشر جامعة الكويت، ١٩٩٣م.

- المهدي البوعبدلي: أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني (٦٥٠-٧٠٨هـ/١٢٥٣-١٣٠٩م) ، مجلة الأصالة ، ع ٤٩-٥٠، ١٩٧٧م ،

- الأعمال الكاملة للشيخ المهدى البوعبدلي ، عالم المعروفة ، الجزائر ، ٢٠١٣م

- لويس مينار هرمس المثلث العظمة أو النبي إدريس ، ترجمة عبد الهادي عباس ، دار الحصاد ، دمشق ، ط١، ١٩٩٨م

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Abdesselam Meziane, Ibn Khamīs, poète tlemcenien du xiiie siècle dans Deuxième congrès de la Fédération des sociétés savantes de l’Afrique du Nord à Tlemcen ١٤-١٧ avril ١٩٣٦, Alger ١٩٣٦,T.

Bénali El Hassar, Algérie L'épopée musicale andalouse "sana'a-gharnata", ٢٠١٦.

Nizar F. Hermes: Ibn Khamis and the Poetics of Nostalgia in the Tilimsāniyyāt in (The Routledge Handbook Of Arabic Poetry), New York, ٢٠٢٣.